

* { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }

قوله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } : في "هو" وجهان، أحدهما: أنه ضميرٌ عائِدٌ على ما يفهم من السياق، فإنه يُرَوَى في الأسباب: أَنَّهُمْ قالوا لرسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم: صِفْ لنا رَبَّكَ وانسُبْه. وقيل: قالوا: أَمِنْ نُحَاسٍ هو أم مِنْ حديد؟ فنزلت. وحينئذ يجوزُ أَنْ يكونَ "الله" مبتدأً، و"أَحَدٌ" خبره. والجملة خبرُ الأول. ويجوزُ أَنْ يكونَ "الله" بدلاً، و"أَحَدٌ" الخبر. ويجوزُ أَنْ يكونَ "الله" خبراً أولاً، و"أَحَدٌ" خبراً ثانياً. ويجوزُ أَنْ يكونَ "أَحَدٌ" خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: هو أَحَدٌ. والثاني: أَنَّهُ ضميرُ الشأنِ لأنه موضعُ تعظيمٍ، والجملة بعده خبرٌ مفسِّرةٌ.

وهمزةُ "أحد" بدلٌ من واوٍ، لأنَّه من الوَحْدَةِ، وإبدالُ الهمزة من الواوِ المفتوحة. وقيل: منه "امرأةٌ" أناةٌ من الوَئِي وهو الفُتُورُ. وتقدّم الفرقُ بين "أحد" هذا و"أحد" المراد به العمومُ، فإنَّ همزةُ ذاك أصلٌ بنفسِها. ونقل أبو البقاء أنَّ همزةُ "أحد" هذا غيرُ مقلوبةٍ، بل أصلٌ بنفسِها كالمُرَادِ به العمومُ، والمعروفُ الأولُ. وفرَّق ثعلب بين "واحد" وبين "أحد" بأنَّ الواحدَ يدخُلُه العَدُّ والجمعُ والاثنان، و"أحد" لا يدخُلُه ذلك. ويقال: اللهُ أَحَدٌ، ولا يقال: زيدٌ أَحَدٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى هذه الخصوصية، وزيدٌ له حالاتٌ شتى. وردَّ عليه الشيخُ: بأنَّه يُقال: أصله وَأَحَدٌ، فأُبدلتِ

الواو همزةً فاجتمع ألفان، لأنَّ الهمزة تُشبه الألفَ، فحُذِفَتْ إحداهما تخفيفاً.
وقرأ عبد الله وأبيُّ {واللهُ أحدٌ} دونَ "قُلْ" وقرأ النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم "أحدٌ" بغيرِ "قل
هو" وقرأ الأعمش: {قل هو الله الواحد}.

وقرأ العامَّةُ بتنوين "أحدٌ" وهو الأصلُ. وزيد بن علي وأبان ابن عثمان وابن أبي إسحاق
والحسن وأبو السَّمَّال وأبو عمرو في رواية في عددٍ كثيرٍ بحذف التنوين لالتقاء الساكنين كقوله:
4675- عمرو الذي هَشَمَ الثَّريدَ لقومه * ورجالُ مكة مُسنِتُونَ عِجافُ
وقال آخر:

4676- فَأَلْفَيْتُهُ غيرَ مُسْتَعْتَبٍ * ولا ذاكر الله إلا قليلاً

* {الله الصَّمَدُ}

قوله: {الصَّمَدُ}: فَعَلَ بمعنى مَفْعُولٍ كَالْقَبْضِ وَالنَّقْضِ. وهو السَّيِّدُ الذي يُصَمَدُ إليه في
الحوائج، أي: يُقْصَدُ ولا يُقَدَّرُ على قضائها إلا هو. وأنشد:

4677- أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بَحَيْرِ بَنِي أَسَدٍ * بَعَمْرٍو بن مسعودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدِ
وقال الآخر:

4678- عَلَوْتُهُ بِجُسامٍ ثم قُلْتُ له * حُذِّها حُذَيْفُ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ
وقيل: الصَّمَدُ: هو الذي لا جَوْفَ له، ومنه قوله:

4679- شهابُ حُرُوبٍ لا تَزَالُ جِيادُهُ *عوايسَ يَعلُكنَ الشَّكِيمَ المِصمَدا

وقال ابن كعب: تفسيره ما بعده من قوله: "لم يلد ولم يولد" وهذا يشبه ما قالوه في تفسير الهلوع. والأحسن في هذه الجملة أن تكون مستقلة بفائدة هذا الخبر. ويجوز أ، يكون "الصمد" صفة. والخبر في الجملة بعده، كذا قيل: وهو ضعيف، من حيث السياق، فإن السياق يقتضي الاستقلال بأخبار كل جملة.

* { وَمَ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }

قوله: { كُفُوًا أَحَدٌ } : في نصبه وجهان، أحدهما: أنه خبر "يكن" و"أحد" اسمها و"له" متعلق بالخبر، اي: ولم يكن أحد كفوًا له. وقد رد المبرد على سيبويه بهذه الآية، من حيث إنه يزعم أنه إذا تقدم الظرف كان هو الخبر، وهنا لم يجعله خبراً مع تقدمه.

وقد رد على المبرد بوجهين، أحدهما: أن سيبويه لم يحتج لك بل جوزه. والثاني: أننا لا نسلم أن

الظرف هنا ليس بخبر بل هو خبر، ونصب "كفوًا" على الحال على ما سيأتي بيانه. وقال

الزمخشري: "الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم. وقد

نص سيبويه في "كتابه" على ذلك، فما باله مُقدِّماً في أفصح كلام وأعربه؟ قلت: هذا الكلام

إنما سبق لنفي المكافأة عن ذات الباري تعالى، وهذا المعنى مصبّه ومركزه هو هذا الظرف،

فكان لذلك أهم شيء وأغناه وأحقه بالتقديم وأخراه".

والثاني: أَنْ يُنْصَبَ عَلَى الْحَالِ مِنْ "أَحَدٍ" لِأَنَّهُ كَانَ صِفَتَهُ فَلَمَّا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ نُصِبَ حَالًا، وَ"لَهُ" هُوَ الْخَبَرُ. قَالَ مَكِّي وَأَبُو الْبَقَاءِ وَغَيْرُهُمَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَكِنِّ فِي الْجَارِ لَوْ قَوَعَهُ خَيْرًا. قَالَ الشَّيْخُ بَعْدَ أَنْ حَكَى كَلَامَ الزَّمْشَخَرِيِّ وَمَكِّي: "وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} لَيْسَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِيهِ تَامًّا، إِنَّمَا نَاقِصٌ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لِ"كَانَ" بَلْ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِ"كُفُوًا" وَقَدِيمٌ عَلَيْهِ. التَّقْدِيرُ: وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مَكَافِيًّا لَهُ، فَهُوَ فِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ مُتَعَلِّقٌ بِ"كُفُوًا" وَتَقَدَّمَ عَلَى "كُفُوًا" لِلاَهْتِمَامِ بِهِ، إِذْ فِيهِ ضَمِيرُ الْبَارِي تَعَالَى، وَتَوَسَّطَ الْخَبَرُ وَإِنْ كَانَ الْأَصْلُ التَّأخِيرَ؛ لِأَنَّ تَأْخِيرَ الْاسْمِ هُوَ فَاصِلَةٌ فَحَسَنَ ذَلِكَ.

وَعَلَى هَذَا الَّذِي قَرَّرْنَاهُ يَبْطُلُ إِعْرَابُ مَكِّي وَغَيْرِهِ أَنَّ "لَهُ" الْخَبَرُ، وَ"كُفُوًا" حَالٌ مِنْ "أَحَدٍ" لِأَنَّهُ ظَرَفٌ نَاقِصٌ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا. وَبِذَلِكَ يَبْطُلُ سُؤَالُ الزَّمْشَخَرِيِّ وَجَوَابُهُ. وَسَبَبُوهُ إِنَّمَا تَكَلَّمَ فِي الظَّرْفِ الَّذِي يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا وَأَنْ لَا يَكُونَ. قَالَ سَبَبُوهُ: "وَتَقُولُ: مَا كَانَ فِيهَا أَحَدٌ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَا كَانَ [أَحَدٌ] مِثْلَكَ فِيهَا، وَلَيْسَ أَحَدٌ فِيهَا خَيْرٌ مِنْكَ، إِذَا جَعَلْتَ "فِيهَا": مُسْتَقْرَأً، وَلَمْ تَجْعَلْهُ عَلَى قَوْلِكَ: فِيهَا زَيْدٌ قَائِمٌ أَجْرَيْتَ الصِّفَةَ عَلَى الْاسْمِ. فَإِنْ جَعَلْتَهُ عَلَى "فِيهَا زَيْدٌ قَائِمٌ" نَصَبْتَ فَتَقُولُ: مَا كَانَ فِيهَا أَحَدٌ خَيْرًا مِنْكَ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ خَيْرًا مِنْكَ فِيهَا، إِلَّا أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ الْإِلْغَاءَ فَلِكَمَا أَحْرَزْتَ الْمُلْعَى فَهُوَ أَحْسَنُ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْرَأً فَكَلِمًا قَدَّضَمْتَهُ كَانَ أَحْسَنَ، وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ وَالْإِلْغَاءُ وَالِاسْتِقْرَارُ عَرَبِيٌّ جَيِّدٌ كَثِيرٌ قَالَ تَعَالَى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} وَقَالَ الشَّاعِرُ:

انتهى كلامٌ سيبويه. قال الشيخ: "فأنت ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذي يصلح أن يكون خبراً. ومعنى قوله {مستقراً} أي: خبراً للمبتدأ أو لكانز فإن قلت: فقد مثّل بالآية. قلت: هذا أوقع مكيّاً والزمخشريّ وغيرهما فيما وقعوا فيه، وإنما أراد سيبويه أن الظرف التام وهو في قوله:

ما دام فيهنّ فصيلٌ حيّاً

أجري فضلة لا خبراً كما أن "له" في الآية أُجري فضلةً فجعلَ الظرفَ القابلَ أن يكون خبراً كالظرفِ الناقصِ في كونه لم يُستعمل خبراً. ولا يشكُّ مَنْ له ذهنٌ صحيحٌ أنه لا ينعقدُ كلامٌ مِنْ "له أحد" بل لو تأخّر "كُفُوا" وارتفع على الصفة وقد جعل "له" خبراً لم ينعقد منه كلامٌ. بل أنت ترى أن النفي لم يتسلط إلا على الخبر الذي هو "كُفُوا" والمعنى: لم يكن أحدٌ مكافئه" انتهى ما قاله الشيخ.

وقوله: "ولا يشكُّ أحدٌ" إلى آخره تهويلٌ على الناظر. وإلا فقوله: "هذا الظرف ناقصٌ ممنوعٌ؛ لأنّ الظرفَ الناقصَ عبارةً عمّا لم يكن في الإخبار به فائدةً، كالمقطوع عن الإضافة، ونحو "في دار رجل" وقد نقل عن سيبويه الأمثل المتقدمة نحو: "ما كان فيها أحدٌ خيراً منك"، وما الفرق بين هذا وبين الآية الكريمة؟ وكيف يقول هذا وقد قال سيبويه في آخر كلامه: "التقديم والتأخير والإلغاء والاستقرارُ عربيٌّ جيدٌ كثيرٌ"؟

وقرأ العامة بضم الكاف والفاء. وسهّل الهمزة الأعرج وشبيهه ونافع في رواية. وأسكن الفاء حمزة، وأبدل الهمزة واواً وقفاً خاصة. وأبدلها حفصاً واواً مطلقاً. والباقون بالهمز مطلقاً. وقد تقدّم الكلام على هذا في أوئل البقرة في قوله: {هُزُواً

{ . وقرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس "كِفَاءً" بالكسر والمدِّ، أي: لا مِثْلَ له. وأنشد للنابغة:

4681- لا تَقْدِفِي بَرْكِنِ لا كِفَاءً له *

ونافع في رواية "كِفا" بالكسر وفتح الفاء من غير مدِّ، كأنه نقل حركة الهمزة وحذفها. والكُفَاءُ: النظيرُ. وهذا كِفَاءٌ لك، أي: نظيرُك والاسم الكِفَاءة بالفتح.